

خسروشہ

کامل کیلانی



خُسْرَوْ شَاهُ

خُسْرَوْشَاهُ

تألیف
کامل کیلانی



خُسْرَوْشَاءُ

كامل كيلاني

رقم إيداع / ٢٠١٢ / ١٩٠٥٤
تدمك: ٧١٩ ٧٧٧ ٩٧٨ ٠٨٠٠

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٦

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تلفيفون: +٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ فاكس: +٢٠٢ ٢٢٧٠ ٦٢٥٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.hindawi.org>

رسم الغلاف: ورود الصاوي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي
للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

خُسْرَوْشَاهُ

(١) «خُسْرَوْشَاهُ»

نشأ «خُسْرَوْشَاهُ» في بلاد الفُرسِ. وكان أبوه ملِّكًا على تلك البلاد، فعنِي بِتَرْبِيَتِهِ وَتَقْدِيفِهِ — أي: تَهْذِيبِهِ — بِالْعُلُومِ وَالْفُنُونِ. وَاخْتَارَ لِذِلِكَ أَكْبَرَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُدَرِّسِينَ في عَصْرِهِ، فَنَشَّئُوهُ أَحْسَنَ تَنْشِيَةً، أَعْنِي: رَبُوهُ أَحْسَنَ تَرْبِيَةً. وكان «خُسْرَوْشَاهُ» ذِكْيًا جَدًّا وَمُحِبًّا لِلدَّرِّسِ، فَتَعَلَّمَ التَّارِيخَ وَالجُغرافِيَّةَ، وَنَفَقَ فِي الدِّينِ، وَبَرَعَ فِي فُنُونِ الْحَرْبِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْهَنْدِسَةِ، وَرَوَى أَعْذَابَ الْأَشْعَارِ الَّتِي قَالَهَا بُلْغَاءُ الْعَرَبِ، وَلِكِنَّ أَكْبَرَ هُمَّهِ كَانَ مُنْصِرًا إِلَى فَنِ الْخَطِّ. وَلَمْ يَكُنْ يَصِلُّ إِلَى سِنِ الشَّابِّ حَتَّى فَاقِهِ أَهْلَ عَصْرِهِ — وَمِنْهُمْ مُعْلَمُوهُ — وَذَاعَ صِيتُهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ.

(٢) قُطَّاعُ الطَّرِيقِ

وَعَلِمَ مَلِكُ الْهِنْدِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ «خُسْرَوْشَاهُ» مِنَ النُّبُوَّغِ، فَاشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَأَرْسَلَ سَفِيرَهُ وَمَعْهُ هَدِيَا يَنْفِيَسَةً إِلَى أَبِيهِ. وكان أبوه يُحبُّ تَوْثِيقَ الصَّلَاتِ مَعَ مَلِكِ الْهِنْدِ، وَيَرِي في مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاحَاتِ دُرُوسًا نَافِعَةً لِوَلَدِهِ. فَأَرْسَلَهُ مَعَ السَّفِيرِ وَمَعَهُمَا عَشَرَةً جِمَالًا مُحَمَّلَةً بِالنَّفَائِسِ هَدِيَّةً لَهُ، وَعِشْرِينَ فَارِسًا لِلْحِرَاسَةِ. وَمازَالُوا سَائِرِينَ شَهْرًا كَامِلًا. ثُمَّ فَاجَاهُمْ خَمْسُونَ لِصَانِنَ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ. فَصَاحَ فِيهِمْ أَحَدُ الْفُرْسَانِ: «إِنَّا رُسُلُ مَلِكِ الْفُرْسِ إِلَى مَلِكِ الْهِنْدِ». فَسَخَرُوا مِنْ قَوْلِهِ. وَلَمْ يَرِ «خُسْرَوْشَاهُ» بُدًّا مِنَ الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ، فَحَارَبَ مَعَ رِجَالِهِ، حَتَّى سَقَطُوا عَنْ أَخْرِهِمْ، بَيْنَ قَتْلٍ وَجَرِيحٍ. وَلَمَّا يَئِسَ مِنْ مُقاوَمَتِهِمْ أَرْخَى

لِحِصَانِهِ الْعِنَانَ (أَيِّ: الْجَامِ). وَمَا زَالَ – حِصَانُهُ – يَجْرِي بِهِ حَتَّى ارْتَمَى عَلَى الْأَرْضِ مَيِّتًا. فَتَلَفَّتَ وَرَاءُهُ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَتَبَعُهُ. فَعَلِمَ أَنَّهُمْ شُغِلُوا بِجَمْعِ الْغَنَائِمِ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِهِ.

(٣) فِي ضِيَافَةِ حَيَّاطٍ

وَمَا زَالَ سَائِرًا عَلَى قَدَمَيْهِ عَدَّةً أَيَّامٍ، عَلَى غَيْرِ هُدَى. وَكَانَ يَقْتَاتُ بِالْأَعْشَابِ الَّتِي يَجِدُهَا فِي أَثْنَاءِ سَيِّرِهِ، وَيَنْامُ فِي الطَّرِيقِ، حَتَّى لَا حُتْ لَهُ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ. فَسَارَ إِلَيْهَا وَدَخَلَهَا، وَفَرِحَ بِرُؤْيَا النَّاسِ، بَعْدَ أَنْ حُرِمَ رُؤْيَتِهِمْ مُدَّةً مِنَ الرَّمَنِ. وَرَأَى دُكَانَ حَيَّاطٍ، فَحَيَّاهُ وَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ يَا سَيِّدِي؟» فَعَلِمَ الْحَيَّاطُ أَنَّ مُحَدِّثَهُ غَرِيبٌ. وَسَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ، وَكَيْفَ جَاءَ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ كُلُّ مَا حَدَثَ لَهُ. فَحَزَنَ الْحَيَّاطُ لِقصَّتِهِ، وَقَالَ لَهُ نَاصِحًا: «اَحْذِرْ يَا وَلَدِي أَنْ تُخْبِرَ أَحَدًا بِأَمْرِكَ. لَأَنَّ مَلِكَ هَذِهِ الْبَلَادِ حَصْمٌ شَدِيدُ الْحُصُومَةِ لِأَبِيكَ. وَلَوْ عَلِمَ بِكَ لَقَتَّاكَ». فَشَكَرَ لَهُ «حُسْرُوْشَاهُ» وَأَقامَ فِي ضِيَافَتِهِ عَدَّةً أَيَّامٍ.

(٤) فِي الْغَابَةِ

ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَيَّاطُ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَدْ قَوَى بَعْدَ ضَعْفِهِ: «إِنَّ مِنْ عَادَةِ الْأَمْرَاءِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا فِي صَغِيرِهِمْ حِرْفَةً لِتَنْفَعُهُمْ فِي وَقْتِ الضَّيْقِ. فَأَيُّ حِرْفَةٍ تَعَلَّمْتَ؟» فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ تَعَلَّمْتُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ، وَبَرَعْتُ فِي فَنِ الْخَطِّ». فَقَالَ لَهُ الْحَيَّاطُ: «كُلُّ ذِلْكَ لَا يَنْفَعُ الْأَنَّ. وَسَأَشْتَرِي لَكَ فَأْسًا وَحِبَالًا، لِتَدْهَبَ بِهَا إِلَى الْغَابَةِ وَتَقْطَعَ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْخَشْبِ وَتَبْيَعُهُ. فَأَنْتَ شَابٌ قَوِيٌّ قَادِرٌ عَلَى الْعَمَلِ لِاِكْتِسَابِ الْقُوَّةِ». فَفَرَحَ بِذِلِكَ، وَظَلَّ يَتَهَبُ إِلَى الْغَابَةِ كُلَّ يَوْمٍ فَيَقْطَعُ كَثِيرًا مِنْ خَشْبِ الشَّجَرِ وَيَبْيَعُهُ، حَتَّى وَفِي مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ لِلْحَيَّاطِ، وَادْخَرَ مِنَ الْمَالِ مِقْدَارًا كَبِيرًا.

(٥) تَحْتُ الْأَرْضِ

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ كَانَ «خُسْرَوْشَاهُ» يَقْطَعُ جِذْعَ شَجَرَةَ كَبِيرَةَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ مِنَ الْغَابَةِ، فَرَأَى فِي الْأَرْضِ حَلْقَةً مِنَ الْحَدِيدِ، مُثْبَتَةً فِي بَابٍ مِنَ الْخَشْبِ. فَرَفَعَ الْبَابَ – بِقُوَّتِهِ كُلُّهَا – فَرَأَى تَحْنَهُ سُلْمَانًا، فَنَزَلَ، فَوَجَدَ مَكَانًا فَسِيقًا، وَحَدِيقَةً كَبِيرَةً، وَقَصْرًا لَمْ يَرَ لَهُ شَيْئًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَرَأَى الْمَكَانَ مُضِيَّا (أَيْ: مُنْوَرًا) وَإِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ أَشْعَةُ الشَّمْسِ. فَدَهِشَ لِذَلِكَ.

(٦) أَسِيرَةُ الْجِنِّيِّ

وَرَأَى فَتَاهَ حَسْنَاءَ جَالِسَةً عَلَى أَرِيكَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ، فَزَادَ عَجَبُهُ. وَمَا كَادَتْ تِلْكَ الْفَتَاهُ تَرَاهُ حَتَّى اصْفَرَ لَوْنُهَا، وَاضْطَرَبَتْ مِنْ شِدَّةِ الْخُوفِ. وَسَأَلَتْهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ وَكَيْفَ أَنْتَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ؟» فَأَخْبَرَهَا بِقَصَّتِهِ كُلُّهَا. فَاطْمَأَنَتْ إِلَيْهِ، وَزَالَ عَنْهَا الْخُوفُ. فَسَأَلَهَا عَنْ قَصَّتِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: «إِنَّ قَصَّتِي أَعْجَبٌ مِنْ قَصَّتِكَ، فَأَنَا بُنْتُ مَلِكٍ مِثْلِ أَبِيكَ، وَقَدْ خَطَفَنِي حِنْيٌ مِنْ قَصْرِ أَبِي فِي لَيْلَةِ الْعُرْسِ، وَأَحْضَرَنِي إِلَى هُنَا، وَسَاجَنَنِي تَحْتَ الْأَرْضِ. وَهُوَ يَزُورُنِي مَرَّةً فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ. وَقَدْ مَضَتْ عَلَيَّ عِدَّةُ سَنَوَاتٍ وَأَنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ.»

(٧) طِلَسْمُ الْجِنِّيِّ

وَظَلَّ «خُسْرَوْشَاهُ» يُحَادِثُ تِلْكَ الْفَتَاهَ السَّحِينَةَ فِي مُخْتَلِفِ الْأَحَادِيثِ وَيُصَبِّرُهَا وَيُؤْسِيَهَا، حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْغَدَاءِ. فَدَخَلَا غُرْفَةَ الْأَكْلِ، فَرَأَى فِيهَا «خُسْرَوْشَاهُ» مِنْ أَلْوَانِ الطَّعَامِ وَالْفَاكِهَةِ وَالشَّرَابِ مَا لَمْ يَخْطُرْ لَهُ عَلَى بَالِّ. فَقَالَتْ لَهُ الْفَتَاهُ: «تَعَالَ كُلَّ يَوْمٍ لِتَأْكُلَ مَعِي وَتَشَرَّبَ مَا يَطْلُوكَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. وَلَكِنِي أَحْذَرُكَ أَنْ تَقْرَبَ هَذِهِ الزُّجَاجَةَ وَحْدَهَا. فَإِنْ شَرَبْتَ مِنْهَا نَدِمْتَ». فَأَكَلَ «خُسْرَوْشَاهُ» وَشَرَبَ مَا شَاءَ. ثُمَّ وَسَوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَشَرَّبَ مِنْ تِلْكَ الزُّجَاجَةِ، فَنَهَتْهُ الْفَتَاهُ، وَحَذَرَتْهُ سُوءُ الْعَايَةِ. فَاشْتَدَتْ رَغْبَتُهُ وَالْحَاجَةُ، وَأَصَرَّ عَلَىِ عِنَادِهِ. وَمَا كَادَ يَشَرَّبُ قَلِيلًا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ حَتَّى اخْتَلَطَ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْخَبِيرِ. فَقَالَ لِلْفَتَاهِ، وَهُمَا سَائِرَانِ فِي الْحَدِيقَةِ: «أَلَا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَهْرُبِي مِنْ ذَلِكَ الْجِنِّيِّ الْخَبِيرِ، وَتَذَهَّبِي مَعِي إِلَى قَصْرِ أَبِيكَ، أَوْ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ تَحْتَيْنِ فِيهِ؟» فَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ مَدْهُوشَةً: «كَلَّا لَا سَيِّلَ إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَهْتَدِي بِسُهُولَةٍ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ أَذْهَبُ إِلَيْهِ. وَهُوَ يَقْتُلُنِي

خُسْرُوْشَاه

إِنْ هَرَبْتُ مِنْهُ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُسْئِي إِلَيَّ قَطُّ. بَلْ بَدَلَ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهِ لِإِسْعَادِي وَلَكْبِيَةِ كُلِّ مَا أُرِيدُهُ مِنْهُ.

فِلَمَذَا أَغْدِرْ بِهِ؟ فَقَالَ لَهَا: «وَمَا هَذِهِ الْكُرْةُ الزُّجَاجِيَّةُ الَّتِي أَرَاهَا بِالْقُرْبِ مِنَ النَّافُورَةِ؟» فَقَالَتْ لَهُ: «هَذِهِ هِيَ طِلَّسُ الْجِنِّيِّ الَّذِي أَسْتَدِعِيهِ بِهِ كُلَّمَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ. فَإِذَا لَمَسْتُ هَذِهِ الْكُرْةَ حَضَرَ الْجِنِّيُّ لِلْحَالِ.»

(٨) تَهُورُ «خُسْرُوْشَاه»

فَحَسِبَ «خُسْرُوْشَاه» أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى قَتْلِ الْجِنِّيِّ، وَإِرَاحَةِ الْفَتَاهِ مِنْهُ.

فَقَالَ لِلْفَتَاهِ: «لَا بُدَّ مِنِ اسْتِدْعَاءِ هَذَا الْجِنِّيِّ الْخَيْثِ.

وَسَأَفْتَهُ أَمَامَكِ بِفَاسِي هَذِهِ.

وَسَرَّتِينَ مِنْ شَجَاعَتِي مَا لَا يَخْطُرُ لَكِ عَلَى بَالٍ.

فَأَذْرَكَتِ الْفَتَاهُ أَنَّ الشَّرَابَ قَدْ أَذْهَلَهُ عَنْ تَدْبِيرِ الْعَوَاقِبِ.

فَارْتَمَتْ عَلَى قَدَمِيهِ، مُتَوَسِّلَةً إِلَيْهِ أَنْ يَكُفَّ عَنْ هَذِهِ الْحَمَاقَةِ، وَإِلَّا أَهْلَكُهُمَا الْجِنِّيُّ مَعًا.

فَلَمْ يَعْبُأْ بِنَصِيحَتِهَا، وَجَرَى مُسْرِعاً إِلَى الطِّلَّسِ، فَرَكَّلَهُ بِقَدِيمِهِ، فَحَطَمَهُ.

(٩) هَرَبُ «خُسْرُوْشَاه»

وَمَا كَادَ «خُسْرُوْشَاه» يُحَطِّمُ الطِّلَّسَ حَتَّى أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا بِدُخَانِ كَثِيفٍ، وَاضْطَرَبَتِ الْأَرْضُ، وَزَلَّلَ الْقَصْرُ.

فَأَفَاقَ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَأَدْرَكَ — بَعْدَ فَوَاتِ الْوَقْتِ — شَنَاعَةَ حَطَّئِهِ.

وَجَرَى إِلَى السُّلَّمِ تَارِكًا جِذَاءَهُ وَفَاسِهِ، لِشِدَّةِ مَا لَحِقَهُ مِنَ الْخَوْفِ.

وَمَا زَالَ مُسْرِعاً حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَهُوَ لَا يَكُدْ يُفْعِقُ مِنَ الرُّعْبِ وَالْفَرَّعِ، الَّذِينِ اسْتَوْلَيَا عَلَيْهِ لِهُولِ ما رَأَى وَسَمِعَ.

(١٠) «خُسْرُوْشَاه» وَالْجِنِّيُّ

وَمَا كَادَ يَسْتَقِرُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْخَيَاطُ وَقَالَ لَهُ: «لَقْدْ جَاءَ إِلَى دُكَانِي شَيْخٌ — وَمَعَهُ فَأُسْكَ وَحْدَاؤُكَ — وَسَأَلَنِي: «هَلْ تَعْرُفُ صَاحِبَ هَذِهِ الْفَأْسِ وَهَذَا الْجِذَاءِ؟» فَقُلْتُ لَهُ: «نَعَمْ»، وَأَرْشَدْتُهُ إِلَى الْبَيْتِ.

وَهُوَ يَنْتَظِرُكَ بِالْبَابِ.

فَاشْتَدَ رُعْبُ «خُسْرُوْشَاه» وَأَرَادَ أَنْ يُخْفِي نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ.

وَإِذَا بِالسَّقْفِ يَنْشُقُ، وَإِذَا بِالشَّيْخِ يَهِبِطُ عَلَيْهِمَا، وَفِي يَدِهِ الْفَأْسُ وَالْجِذَاءُ.

ثُمَّ قَالَ لِخُسْرُوْشَاه: «أَلَيْسْ هَذِهِ فَأْسَكَ؟ أَلَيْسْ هَذَا جِذَاءَكَ يَا سَيِّدي؟»

حُسْرُوْشَاه

فَاصْفَرَ وَجْهُ الْفَتَى، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ رُعْبًا مِنْهُ. وَلِكِنَّ الشَّيْخَ أَمْسَكَ بِذِرْاعِهِ، وَرَفَعَهُ فِي الْفَضَاءِ، وَطَارَ بِهِ قَلِيلًا، ثُمَّ هَبَطَ إِلَى قَصْرِهِ، وَغَيَّرَ هَيْنَتَهُ، فَإِذَا هُوَ حِنْيٌ، كَرِيهُ الْمَنْظَرِ.

(١١) عاقِبةُ التَّهُورِ

ثُمَّ سَأَلَهُ الْجِنْيُ: «أَلَا تَعْرِفُ هَذِهِ الْفَتَاهَ؟» فَقَالَ لَهُ: «كَلَّا لَا أَعْرِفُهَا، وَلَمْ أَرَهَا فِي حَيَاةِي قَطُّ». فَقَالَ الْجِنْيُ لِلْفَتَاهِ: «أَلَا تَعْرِفِينَ هَذَا الْفَتَى؟» فَقَالَتْ لَهُ: «كَلَّا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَمْ أَرَهُ فِي حَيَاةِي قَطُّ». فَقَالَ لَهَا الْجِنْيُ غَاضِبًا: «أَلَمْ يَنْسِ عِنْدَكِ حِذَاءُهُ وَفَاسِهُ هَذِينَ؟» فَسَكَتَتْ وَلَمْ تُجِبْ. فَالْتَّفَتَ الْجِنْيُ إِلَى الْفَتَاهِ، وَقَالَ لَهَا: «إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفِينَ هَذَا الْفَتَى فَخُذْهِي هَذَا السَّيْفِ فَاقْتُلْهِ بِهِ». فَقَالَتْ لِلْجِنْيِ: «وَأَيُّ جُرْمٍ ارْتَكَبَهُ حَتَّى أَقْتُلُهُ؟ كَلَّا، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْتُلَ بَرِيئًا!» فَالْتَّفَتَ الْجِنْيُ إِلَى الْفَتَى، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُ هَذِهِ الْفَتَاهَ فَخُذْ هَذَا السَّيْفِ فَاقْتُلْهَا بِهِ». فَقَالَ لِلْجِنْيِ: «وَكَيْفَ أَقْتُلُ نَفْسًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَّتَهُ؟» فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِما الْجِنْيُ غَاضِبًا، وَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكْذِبَا عَلَيَّ لَعْفَوْتُ عَنْ ذَنْبِكُمَا. وَلِكِنَّكُمَا كَاذِبَانِ. وَلَا بُدَّ مِنْ عِقَابِكُمَا فَأَمَّا هَذِهِ، فَإِنِّي سَأَسْجُنُهَا فِي مَغَارَةِ سَحِيقَةٍ لَا يَصِلُّ إِلَيْهَا إِنْسَيٌ وَلَا جِنْيٌ، ثُمَّ أَدْعُهَا بِلَا طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ حَتَّى تَهُلَّكَ». ثُمَّ أَظْلَمَتِ الْغُرْفَةَ فَجَاءَهَا، وَعَادَ النُّورُ إِلَيْهَا بَعْدَ بُرْهَةٍ وَلَيْسَ لِلْفَتَاهِ أَنْ.

(١٢) «حُسْرُوْشَاهُ» يُمْسَحُ قِرْدًا

ثُمَّ قَالَ الْجِنْيُ لِلْفَتَى: «لَوْ شِئْتُ لَفَعَلْتُ مَعَكَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلِكِنِّي سَأَكْتَفِي بِمَسْخِكَ قِرْدًا، أَوْ كُلْبًا، أَوْ جَمَارًا، أَوْ أَسَدًا، أَوْ مَا شِئْتَ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوانِ (وَالْمَسْخُ: تَحْوِيلُ الصُّورَةِ إِلَى صُورَةِ أَقْبَحِ مِنْهَا). فَأَرْتَمَيَ عَلَى قَدْمِيهِ، وَبَكَى مُوتَسْلًا إِلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ خَطِيئَتَهُ. وَقَصَّ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ فِي فَضْلِ الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ.

وَلِكِنَّ الْجِنْيَ لَمْ يُصْنَعِ إِلَيْهِ، وَطَارَ بِهِ إِلَى قِمَّةِ جَبَلٍ مُرْتَفَعٍ وَأَخْذَ بِيَدِهِ قَلِيلًا مِنَ التُّرَابِ، وَجَمَجَمَ قَوْلًا مِنَ السُّحْرِ، ثُمَّ ضَرَبَ وَجْهَ «حُسْرُوْشَاهُ» بِالْتُّرَابِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اخْرُجْ مِنْ صُورَتِكَ الْأَدْمِيَّةِ إِلَى صُورَةِ الْقِرْدِيَّةِ». ثُمَّ طَارَ الْجِنْيُ وَتَرَكَهُ بَعْدَ أَنْ مَسَخَهُ قِرْدًا.

(١٣) مَرْكُبُ النَّجَاهِ

وَسَارَ الْقِرْدُ، وَهُوَ لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَسِيرُ. وَنَزَلَ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ (أَيْ: أَسْفَلِهِ) وَوَقَفَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرٍ قَرِيبٍ مِنْهُ، فَرَأَى مَرْكَبًا كَبِيرًا يَقْتَرُبُ مِنَ الشَّاطِئِ، فَلَمَّا حَانَ أَمْلُ فِي النَّجَاهِ، فَقَطَعَ غُصْنًا كَبِيرًا مِنْ إِحدَى الأَشْجَارِ وَالْقَى بِهِ فِي الْبَحْرِ، وَقَطَعَ فَرْعَانَ صَغِيرَيْنِ، وَصَارَ يَجْلِفُ بِهِمَا، حَتَّى رَأَهُ مَنْ فِي الْمَرْكَبِ، وَهُوَ يَجْلِفُ، (أَيْ: يَسُوقُ السَّفِينَةَ بِالْمُجَادِفِ). فَعَجِبُوا مِنْ ذَكَائِهِ، وَمَدُوا إِلَيْهِ حَبْلًا طَوِيلًا، فَأَمْسَكَ بِهِ، وَرَفَعُوهُ إِلَيْهِمْ. وَمَا كَادَ الْقِرْدُ يَسْتَقْرُرُ فِي الْمَرْكَبِ حَتَّى قَالَ أَحَدُ الْمُسَافِرِينَ: «مَا فَائِدَهُ هَذَا الْقِرْدُ لَنَا؟» فَقَالَ ثَانٌ: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ نُلْقِيَهُ (أَيْ: نَرْمِيهُ) فِي الْبَحْرِ». وَقَالَ ثَالِثٌ: «بِلْ نُقْتُلُهُ وَهُكْدًا. فَأَرْتَمَى عَلَى قَدَمَيِ الرُّبَّانِ، فَرَقَ لَهُ قَلْبُهُ، وَجَعَلَهُ فِي حِمَايَتِهِ.

(١٤) خَطَاطُ الْمَلِكِ

وَسَارَ الْمَرْكَبُ بِهِمْ حَمْسِينَ يَوْمًا، ثُمَّ وَصَلَوْا إِلَى شَاطِئِ مَدِينَةِ كَبِيرَةِ. فَجَاءَ رَسُولُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لِلرُّبَّانِ: «لَقَدْ ماتَ خَطَاطُ الْمَلِكِ مُنْذُ شَهْرٍ، وَنَحْنُ نَبْحَثُ – فِي كُلِّ مَرْكَبٍ يَنْفُدُ إِلَى بِلَادِنَا – عَنْ خَطَاطٍ يَخْلُفُهُ. فَإِذَا كَانَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ مَنْ يُجُودُ الْخَطَّ، فَلْيَكْتُبْ سَطْرًا فِي هَذَا الْقِرْطاسِ، لِنُعْرِضَهُ عَلَى الْمَلِكِ، وَيَرَى رَأْيُهُ فِيهِ». فَنَقَدَمَ حَمْسَةً مِنَ الْمُسَافِرِينَ فَكَبَّوْا – فِي الْقِرْطاسِ – عِدَّةَ نَمَاجِ منْ الْخَطِّ الْجَمِيلِ. وَمَا كَادُوا يَنْتَهُونَ حَتَّى أَسْرَعَ الْقِرْدُ إِلَى الْقِرْطاسِ فَخَطَّفَهُ، وَأَمْسَكَ الْقَلْمَنِ بِيَدِهِ. فَانْزَعَ الْحَاضِرُونَ، وَخَشُوا أَنْ يُمْرِقَ الْقِرْطاسَ. وَلِكِنَّهُمْ اطْمَأَنُوا حِينَ رَأَوْهُ يَكْتُبُ نُخْبَةً مِنَ الْحِكْمِ الْمُخْتَارَةِ، وَلَا يَدْعُ نَوْعًا مِنْ أَنْواعِ الْخَطِّ إِلَّا أَبْدَعَ فِيهِ إِبْدَاهَا. وَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ خَطَّهُ أَعْجَبَ بِهِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ خَطٍّ رَأَهُ فِي حَيَايَتِهِ، وَأَمَرَ بِإِحْضارِهِ إِلَيْهِ فِي مَوْكِبِ حَافِلٍ. فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّ كَاتِبَ هَذَا الْخَطِّ الْبَدِيعِ قِرْدٌ». فَزَادَتْ دَهْشَتُهُ، وَاشْتَدَ شَوْقُهُ إِلَى رُؤْيَتِهِ. فَأَلْبَسَهُ حُلَّةً فَاحِرَةً (أَيْ: ثُوبًا جَدِيدًا حَسَنًا)، وَوَقَفَ النَّاسُ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ يُحَيِّنُهُ مَدْهُوشِينَ.

(١٥) بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ

وَلَمَّا مَثَلَ الْقِرْدُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ، حَيَّاهُ بِأَدِيبٍ وَاحْتِرَامٍ. فَعَجَبَ الْحَاضِرُونَ مِنْ ذَكَائِهِ، الَّذِي هَدَاهُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَلِكِ مِنْ بَيْنِهِمْ. وَأَشَارَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى جَانِيهِ، فَجَلَسَ مُتَادِّيَا. وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْأَكْلِ دَعَاهُ إِلَى الْمَايَّةِ فَأَكَلَ مَعَهُ، ثُمَّ عَسَلَ يَدِيهِ، وَرَأَى دَوَّاً وَقَلَمًا قَرِيبَيْنِ، فَكَتَبَ – بِخَطِّهِ الْبَدِيعِ – كَلِمَةً بِلِيغَةً يَشْكُرُ فِيهَا الْمَلِكَ. فَاسْتَدَدَتْ دَهْشَةُ الْمَلِكِ مِنْ نُبُوغِهِ، وَدَعَاهُ إِلَى الشَّطَرْنَجِ لِيَلْعَبَ مَعَهُ، فَرَأَاهُ مِنْ أَمْهَرِ الْلَّاعِينَ.

(١٦) بِنْتُ الْمَلِكِ

فَدَعَا الْمَلِكُ ابْنَتَهُ لِتَرَى هَذَا الْقِرْدُ الْعَجِيبَ، وَكَانَتْ بَارِعَةً فِي السُّحْرِ. فَلَمْ تَكُنْ تَرَاهُ حَتَّى ابْتَسَمَتْ، وَقَالَتْ لِأَيِّهَا: «لَيْسَ هَذَا قِرْدًا – يَا أَبِي – بَلْ هُوَ أَمِيرٌ». فَدَهَشَ الْمَلِكُ مِنْ قَوْلِهَا، وَسَأَلَهَا عَنْ قِصَّتِهِ. فَقَالَتْ لَهُ مُبْنِسَمَةً: «هَذَا هُوَ الْأَمِيرُ «خُسْرَوْشَاهُ» ابْنُ مَلِكِ الْفُرْسِ. وَقَدْ عَضَبَ عَلَيْهِ جِنِّيٌّ عَنِيدٌ، اسْمُهُ: «الْخَيْتَعُورُ» – لِأَنَّهُ كَدَبَ عَلَيْهِ – فَمَسَخَهُ الْجِنِّيُّ قِرْدًا. ثُمَّ قَصَّتْ عَلَى الْمَلِكِ كُلَّ مَا حَدَثَ لِذَلِكَ الْأَمِيرِ، مُنْذُ خَرَجَ مِنْ قَصْرِهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ.

فَاتَّفَقَتِ الْمَلِكُ إِلَى الْقِرْدِ، فَرَأَاهُ يُؤْمِنُ عَلَى كَلَامِهَا.

(١٧) بِنْتُ الْمَلِكِ وَالْجِنِّيُّ

فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «لَيْتَكِ يَا بِنْتِي قَادِرَةً عَلَى إِعَاذَتِهِ إِنْسَانًا كَمَا كَانَ». فَقَالَتْ لَهُ: «سَأَرْجِعُهُ إِلَى صُورَتِهِ الْأُولَى».

ثُمَّ سَارَتْ بِهِمْ إِلَى فَنَاءِ الْقَصْرِ، وَرَسَمَتْ دَائِرَةً كَبِيرَةً جَلَسَ فِيهَا الْمَلِكُ وَالْوَزِيرُ وَالْقِرْدُ. وَحَذَرَهُمْ مِنْ تَخَطِّيَّهَا حَتَّى لَا يُهْلِكُهُمُ الْجِنِّيُّ. وَأَخَذَتْ قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ رَشَّتْهُ عَلَى وَجْهِهِ قَائِلَةً: «اخْرُجْ مِنَ الْقِرْدِيَّةِ إِلَى صُورَتِكَ الْأُولَى» فَعَادَ إِنْسَانًا. وَإِذَا بِالْدُنْيَا تُظْلِمُ بِدُخَانِ كَثِيفٍ، وَيُقْبِلُ الْجِنِّيُّ – وَهُوَ فِي مِثْلِ طُولِ النَّخْلَةِ – وَيَقُولُ: «كَيْفَ تَجْرِئَنِ – أَيَّتُهَا الْخِيَثَةُ – أَنْ تَرْجِعِي هَذَا الْقِرْدَ إِنْسَانًا كَمَا كَانَ؟»

(١٨) حَرْبُ السَّحَرَةِ

وَمَا كَادَ الْجِنِّيُّ يُنِيمُ قَوْلَهُ حَتَّى تَمَثَّلَ لَهُمْ أَسَدًا، وَأَرَادَ أَنْ يَقْتِرِسَ الْفَتَاهَةَ. فَاسْتَلَتْ شَعْرَةً مِنْ رَأْسِهَا فَصَارَتْ سَيْفًا ماضِيًّا، فَضَرَبَتْهُ بِهِ، فَشَطَرَتْهُ نِصْفَيْنِ.

فَاخْتَفَى الرَّأْسُ فَصَارَ عَقْرَبًا، فَصَارَتِ الْأَمْيَرَةُ حَيَّةً، وَانْقَضَتْ عَلَى الْعُقْرَبِ لِتَقْتُلُهَا.

فَصَارَا نَسْرَيْنِ، وَطَارَا زَمَنًا قَلِيلًا فَلَمْ يَرَهُمَا أَحَدٌ.

ثُمَّ انشَقَّتِ الْأَرْضُ، وَظَاهَرَ مِنْهَا قَطْلَ يَجْرِي، وَيَجْرِي وَرَاءَهُ ذَئْبٌ يُحَاوِلُ أَنْ يَقْتَرِسَهُ.

وَإِذَا بِالْقِطْلِ يُصْبِحُ رُمَانَةً تَرْتَفِعُ إِلَى أَعْلَى، ثُمَّ تَهُوِي (أَيْ: تَسْقُطُ) إِلَى الْأَرْضِ فَتَنَفَّرَ حَيَّاتُهَا، وَيُصْبِحُ الذَّئْبُ بِيَگَ يَلْتَقِطُ حَبَّهَا، بِسُرْعَةٍ لَا مَثِيلَ لَهَا.

(١٩) خَاتِمَةُ الْحَرْبِ

وَاخْتَفَتْ حَبَّةُ عَنْ نَاظِرِهِ، وَتَدَحْرَجَتْ بِسُرْعَةٍ فَوَقَعَتْ فِي الْبِرْكَةِ وَصَارَتْ سَمَكَةً، فَأَصْبَحَ الدَّيْكُ حُوتًا. فَعَادَتِ السَّمَكَةُ وَالْحُوتُ جِنِّيًّا وَفَتَاهَةً كَمَا كَانَا، وَصَارَا يَتَقَاذَفَانِ النَّارَ، أَعْنِي: يَتَرَامِيَانِ بِهَا. فَتَطَايِرَ الشَّرَرُ مِنْهُمَا، فَأَحْرَقَ الْوَزِيرَ، وَأَتَلَفَ عَيْنَ الْمَلِكِ، وَرَجُلٌ «خُسْرَوْشَاه».

وَبَعْدَ قَلِيلٍ احْتَرَقَ الْجِنِّيُّ وَالْأَمْيَرَةُ، فَصَارَا كُومَتَيْنِ مِنَ الرَّمَادِ.

خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَرَأَى «خُسْرَوْشَاه» أَنَّهُ كَانَ سَبَبَ هَذِهِ النَّكَابَاتِ كُلُّهَا، فَرَحَلَ إِلَى بَلْدِهِ، بَعْدَ أَنْ زَارَ صَرِيحَ الْأَمْيَرَةِ. وَلَمْ يَنْسِ – طُولَ عُمُرِهِ – أَنْ خَطاً وَاحِدًا دَفَعَهُ إِلَيْهِ حُمُقْهُ، كَانَ سَبَبًا فِي قَتْلِ أَمِيرَتَيْنِ، وَجِنِّيًّا وَوزِيرِ مَلِكٍ، وَتَعْوِيرِ مَلِكٍ، وَتَعْرِيجِ أَمِيرٍ.